المحاضرة الثّانية: الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات القرآنيّة

أوّلا: تعريف الأحرف

لغة:

جمع حرفٍ، والحرفُ من كلّ شيء طرفه وشفيره وحدّه، ومن الجبل أعلاه المحدّد...، وواحد حروف التّهجي، والنّاقة الضّامرة أو المهزولة أو العظيمة، وعند النّحويّين: ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل.

ومن معاني الحرف في اللّغة: الوجه، كقوله تعالى: **" ومن الناس من يعبد الله على حرف"** [سورة الحج: 11]. والمراد بالحرف هنا: الوجه، أي النعمة والخير، وإجابة السؤال والعافية، فإذا استقامت له الأحوال اطمأنّ وعبد الله، وإذا تغيرت عليه وامتحنه بالشدة والضر ترك العبادة.

وقال الأزهريّ: وكلّ كلمة تُقرأ على وجوه من القرآن تسمّى حرفا، يقرأ هذا في حرف ابن مسعود، أي: قراءة ابن مسعود.

اصطلاحا:

رُوِيَ عن أبي عمرو الدّانيّ (444 هـ) أن الحرف يطلق على أمرين؛ الأوّلُ **الوجهُ من اللغات،** وأمّا الآخر فهو القراءة؛ قال ابنّ الجزري نقلا عن الإمام الدّانيّ: "والوجه الثّاني من معناها أن يكون سمّى القراءات أحرفا على طريق السّعة، كعادة العرب في تسميتهم الشّيء باسم ما هو منه، وما قاربه وجاوره، وكلا الوجهين محتمل، إلا أنّ الأوّل محتمل احتمالا قويّا في قوله صلّى الله عليه وسلم: "سبعة أحرف"، أي: سبعة أوجه وأنحاء، كما أنّ الآخر محتمل احتمالا قويّا من خلال قول عمر رضي الله عنه في الحديث: "سمعت هشاما يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلّى الله عليه وسلم، أي على قراءات كثيرة".

ثانيا: إيرادُ جملة من الأحاديث التي تنصّ على أنّ القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف

1 - عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: **"أقرأني جبريل على حرف فراجعتهّ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"** رواه البخاريّ ومسلم.

2 - عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه: أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلم كان عند **أَضاةِ بني غفار** (الأضاة: بوزن القناة والحصاة وهي الماء المستنقع كالغدير، و**أضاة بني غفار** موضع بالمدينة) قال: فأتاه جبريل فقال: **"إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته**

ومغفرته، وإنّ أمتي لا تطيق ذلك، ثمّ أتاه الثّانية فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أمتي لا تطيق ذلك، ثمّ جاء الثّالثة فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أمتي لا تطيق ذلك، ثمّ جاء الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على سبعة أحرف، فأيّما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا" رواه مسلم.

3 - وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: **"لقي رسول الله صلّى الله عليه وسلم جبريل فقال: يا جبريل إنّي بعثت إلى أمّة أمّيين؛ منهم العجوز، والشّيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرّجل الذي لم يقرأ كتابا قطّ، قال: يا محمد إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف"** رواه التّرمذيّ.

4 - عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، قال: سمع عمرو بن العاص رجلا يقرأ آية من القرآن، فقال: من أقرأكها؟، قال: رسول الله صلّى الله عليه وسلم، قال: فقد أقرأنيها رسول الله صلّى الله عليه وسلم على غير هذا، فذهبا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال أحدهما: يا رسول الله آية كذا وكذا، ثم قرأها، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت فقال الآخر يا رسول الله، فقرأها على رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال: أليس هكذا يا رسول الله، قال: هكذا أنزلت، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: **"إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأيَّ ذلك قرأتم فقد أحسنتم، ولا تماروا فيه، فإنّ المراء فيه كفر، أو آية الكفر"** رواه أحمد في مسنده.

ثالثا: أقوال العلماء في معنى الأحرف السّبعة مع بيان الرّأي الرّاجح

نقل الزّركشيّ -رحمه الله- في (البرهان) عن ابن العربيّ الإشبيليّ المالكيّ أنّه قال: لم يأت في معنى هذه السّبع نصّ ولا أثر، وقد اختُلف في تعيين كنهها، إذ إنّه لم يصلنا أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم أنّهم بيّنوا حقيقة هذه السّبع.

ولا بدّ من التنبيه على أنّ الأحرف السّبعة ليست هي القراءات السّبع التي اشتهرت في الأمصار، باتّفاق القراء، بل هي جزء من الأحرف السّبعة، وقد نقل ابن الجزريّ عن غير واحد من العلماء المتقدّمين أنّهم كرهوا اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القرّاء، وهذه أهم الأقوال التي قيلت في معنى الأحرف السبعة وقد بلغت أربعين قولا، كما حكى ذلك القرطبي والسّيوطي وغيرهما:

1 - أن هذا الحديث من المشكل المتشابه الذي لا يعلم معناه، وذلك لأنّ (الحرف) مشترك لفظيّ يصدق على معان كثيرة، وهو ينسب إلى ابن سعدان النّحوي.

2 - أنّ حقيقة العدد ليست مرادة لأن لفظ السبعة يطلق في لسان العرب، ويراد به الكثرة في الآحاد، وهذا القول ينسب إلى القاضي عياض.

3 - أنّ المقصود سبعة أصناف من المعاني والأحكام هي: الحلال والحرام، والأمر والزجر، والمحكم والمتشابه، والأمثال، وقيل: الحلال والحرام، والمحكم والمتشابه، والأمثال، والإنشاء، والإخبار، وقيل غير ذلك.

4 - أنّ المراد سبع لغات من لغات العرب الفصحى أنزل القرآن بها فهي متفرقة فيه، فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وهو قول أبي عبيد القاسم بن سلام.

5 - أنّ المراد هو أنها لغات سبع تكون في الكلمة الواحدة في الحرف الواحد باختلاف الألفاظ واتّفاق المعاني، كقول القائل: هلمّ، وأقبل، وتعال، وإليّ، وقصدي، وقربي، ونحوي، فهذه الألفاظ السّبعة: معناها واحد وهو: الطّلب والإقبال وهو منسوب لجمهور أهل الفقه والحديث، منهم: سفيان الثّوريّ، وابن وهب، وهو قول ابن جرير الطّبريّ .

لقد درس الإمام ابن الجزري أوجه القراءة، فوجدها لا تخرج عن سبعة أنواع هي:

النّوع الأوّل: في الإعراب بما لا يزيل صورتها في الخط، ولا يغير معناها، ومثاله: **"هؤُلَآءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ"**، والوجه الآخر: أَطْهَرَّ.

النّوع الثّاني: الاختلاف في إعراب الكلمة، وحركات بنائها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها، ومثاله: **رُّبَّنا باعِدْ** والوجه الآخر: **رُّبُّنا باعَدَ**.

النّوع الثّالث: الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، ومثاله: **"وَانظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا"**، والوجه الآخر: **"نُنشِرُها"**

النّوع الرّابع: الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها ومعناها، ومثاله: **"وطلح مَنْضُودٍ"**. والوجه الآخر:**"طَلْعٌ نَضِيدٌ"**.

النّوع الخامس: الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب ولا يغيّر معناها، ومثاله: **"صَيْحَةً وّاحِدَةً"**، والوجه الآخر: "إلا **زَقْيَةً وّاحِدَةً"**.

النّوع السّادس: الاختلاف بالتّقديم والتّأخير، ومثاله:**" وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ"** ، والوجه الآخر:**"وجاءت سَكْرَةُ الحَقّ بالمَوْتِ"**.

النّوع السّابع: الاختلاف بالزّيادة والنّقصان، ومثاله:**"وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ "** والوجه الآخر: **"عَمِلَتْهُ"**.

وسياق الأحاديث التي أوردناها سيق في اختلافات تلفُظيّة قصد التسهيل على الأمّة، وهو اختيار ابن الجزري رحمه الله إذ يقول مَتْن طَيّبَةِ النَّشْرِ فِي القِرَاءَاتِ العَشْر:

وأَصْلُ الاخْتِلافِ أنَّ رَبَّنَـــا أَنـــزَلَـــهُ بِسَبْعَةٍ مُـهَـوّنَا

وقِيلَ فِي الْمُرَادِ مِنْهَا أَوْجُـهُ وَكَونُهُ اخْتِلاَفَ لَفْظٍ أوْجَـــهُ

رابعا: التّمثيل للأحرف السّبعة

1 - قوله تعالى:**"مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"** [سورة الفاتحة: 4]، فيه قراءتان متواترتان صحيحتان، القراءة الأولى: **"مَالِك"** بالألف بعد الميم، وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف، والقراءة الأخرى: **"مَلِكِ"** بغير ألف، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر وحمزة وأبي جعفر، فهذان الوجهان يعتبران من الأحرف السبعة التي نزلت تخفيفا على الأمة، وبلغت هنا حرفين.

2 - قوله تعالى: **"فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ"** [سورة الإسراء: 23]، فيه ثلاثة أوجه متواترة صحيحة، وهي: الوجه الأول: تشديد الفاء مع كسرها منونة؛ وهي رواية نافع، وحفص عن عاصم، وأبي جعفر، والوجه الآخر فتح الفاء من غير تنوين تخفيفا:**"أُفَّ"** ، وهي قراءة ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، الوجه الثالث: بكسر الفاء من غير تنوين: **"أُفِّ"** ، وهي قراءة باقي العشرة.

ففي هذا المثال تعتبر الأوجه الثلاثة من جملة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وبلغت هنا ثلاثة أحرف.